﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [النحل: 67]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

سبحان من تجلّت قدرته فيما يخرج من الضَّرع، وما ينشأ عن الزَّرع

لمّا بيَّنَ ربُّ العِزَّة سبحانه بعض عجائب قُدرَته في إنزال المطر مِنَ السَّماء؛ ليحييَ الأرض الموات، وفي خَلْق الأنعام وما ينشأ عنها من لبنٍ يخرج من بين فرثٍ ودَمٍ خالصًا سائغًا للشّاربين؛ بيَّن سبحانه دلائل قُدرَته، وعظيم صنعته في إنبات الزَّرع، وما ينشأ عنه من ثمراتٍ مختلفة الأنواع، والأشكال، مُتعدِّدة الاستخدام؛ منه ما هو حسَنٌ، ومنه ما ليس حسَنًا؛ حيث يدرك المتأمِّلُ في هذه المخلوقات، المتفكِّرُ لما فيها من آياتٍ أنَّه سبحانه المُستحِقُّ وحده للعبوديَّة، والإقرار بالوحدانيَّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلنَّخِيلِ﴾: "النَّخْلةُ: شَجَرَةُ التَّمر، والجماعة: نَخْلٌ ونَخِيل"[2]، والجذر يدلُّ على "انتقاء الشيء واختياره"[3]؛ وسُمِّي النَّخل بذلك لأنَّه أشرفُ كلِّ شجَرٍ ذي ساق[4].

2) ﴿وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾: العِنَبُ: ثمرٌ معروف، والواحدة منه: عِنَبة، وجمعه: أعناب[5]، والعِنَباء لغةٌ في العِنَب[6]، ورجلٌ عانِبٌ: ذو عنبٍ كثير، كما

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 405، والرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 235، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/ 557، وابن عادل، اللباب: 12/ 106، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 194، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 417.

(2) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب: (نخل).

(3) ابن فارس، المقاييس: (نخل).

(4) ابن فارس، المقاييس: (نخل).

(5) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح: (عنب).

(6) الأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح: (عنب).

يُقالُ: لابن وتامِر، أي: كثير اللَّبن والتَّمر[1]، والمعنى المحوريّ للجذر: "صفاءُ المُمتلئ المُستدير مع امتداد"، وهذا المعنى واضحٌ في امتلاء العِنَب بالماء وصفائه مع كَون حَبّ أكثر العنب فيه امتدادٌ يقلُّ أو يزيد[2].

3) ﴿سَكَرًا﴾: السَّكَرُ: اسمٌ لما يكون منه السُّكْر[3]؛ أي: ما يُسكِر كالخمر والنَّبيذ[4]، والسُّكْر: "نقيضُ الصَّحو"[5]، وحالةٌ تعرض بين المَرء وعقله[6]، والجذر "أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حَيرةٍ. مِن ذلك السُّكْر من الشَّراب"[7]، ويُقالُ: رجلٌ سَكْران، وامرأةٌ سَكْرى، ورجلٌ سِكِّير، أي: كثيرُ السُّكر أو لا يزال سكرانَ، ويُقالُ: سكَرَت عينُه تَسكُرُ: إذا تحيَّرت، وسكنَت عنِ النَّظر[8].

المَعْنى الإجْماليُّ:

في تعدُّد منافع الثِّمار دعوةٌ إلى النَّظر والتَّفكُّر فيما خلَق الكبير المتعال

ومن بعض ثمرات النَّخيل والأعناب ثمرٌ تتَّخذونه فتصنعون منه خمرًا مُسكِرًا - وذلك قبل تحريمه - وطعامًا طيِّبًا كالتَّمر والزَّبيب والدِّبس والخَلِّ، إنَّ في ذلك الإسقاء والإطعام لعلامةً وعِظةً دالَّةً على قُدرَة الله تعالى لقومٍ يستعملون عقولهم بالنَّظر والتَّأمُّل في الآيات[9].

الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة عطف الآية على سابقتها:

ثمرات النَّخيل والأعناب فيها منافعُ للعباد ورزقٌ مُستطاب

لمّا ذَكَر الله اللَّبن، وأنَّه تعالى جعله شرابًا للنّاس سائغًا؛ ثنَّى

(1) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، وابن فارس، المقاييس: (عنب).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (عنب).
(3) الراغب، المفردات: (سكر).
(4) الأزهري التهذيب، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سكر).
(5) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح: (سكر).
(6) الراغب، المفردات: (سكر).
(7) ابن فارس، المقاييس: (سكر).
(8) الأزهري، التهذيب: (سكر).
(9) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 274، والبغوي، معالم التنزيل: 5/ 28، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 498، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 232.

بذِكر ما يتَّخذه النّاس مِنَ الأشربة، مِنْ ثمرات النَّخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النَّبيذ المُسكِر قبل تحريمه؛ ولهذا امتنَّ به عليهم[1]؛ فعطَف على اللَّبن ما هو أنفَس منه عند عِباده، وأقرب له في المعنى[2].

معنى حرف الجرّ (مِنْ) ودلالته:

بعض منافع الثَّمرات أشربة وأرزاق

تفيد (مِنْ) في قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ التَّبعيض؛ وكُرِّرت (مِن) للتَّأكيد، وكان الضَّمير مُفردًا - في ﴿مِنْهُ﴾ - راعيًا لمحذوف؛ أي: ومِنْ عصير ثمراتٍ، أو على معنى الثَّمرات وهو الثَّمر، أو بتقدير (مِنْ) المذكور[3].

سرُّ الإضافة في ﴿ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾:

في تنوُّع أشربة ثمرات النَّخيل والأعناب عِبرةٌ وعِظة

أُضيف ﴿ٱلنَّخِيلِ﴾ إلى الثَّمرات، وجاءت ﴿وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾: معطوفةً عليه مجرورةً مثله، بمعنى: مِنْ عصير ثمرات النَّخيل والأعناب، أو المعنى بتقدير مفعول به؛ أي: ونُسقيكم من ثمرات النَّخيل والأعناب عصيرًا، وتكون جملة ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ صفة لعصير المُقدَّر[4]، وفائدة صيغة ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ الإشارة إلى تعداد الأنواع[5].

نوع (اللّام) في ﴿ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾:

ثمرات النَّخيل والأعناب متنوِّعة

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ للجنس، وهي لبيان الحقيقة والماهيَّة، أي: أنَّ معنى الآية: تتَّخذون منافع ممّا هو نخيلٌ، وممّا هو أعنابٌ، وفيه إشارةٌ إلى تنوُّع ثمرات النَّخيل، وتنوُّع صور العنَب المُستفاد منه.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 581.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 194.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 557.
(4) بهجت صالح، الإعراب المفصل: 6/ 173.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 417.

غرض الحذف في صدر الآية:

حذف المعروف بدالٍّ عليه مألوف

تجدر الإشارة إلى أنَّ (مِنْ) في صدر الكلام تدلُّ على تقدير فعلٍ[1] حُذِف لدلالة ﴿نُسۡقِيكُم﴾ قبله عليه[2]؛ فقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ متعلِّقٌ بالمحذوف[3]، والتَّقدير: ونُسقيكم من ثمرات النَّخيل والأعناب؛ أي: مِن عصيرها[4]، وقيل التَّقدير: وتتَّخذون من ثمرات النَّخيل سكَرًا[5]؛ أي: إنَّ هنا كلامًا محذوفًا تقديره: تتَّخذون ما تتَّخذون ممّا يُسخَّر لكم منها؛ فتأخذون ثمراتٍ طيِّباتٍ أُكلُها حُلوٌ دائمٌ، تتَّخذون منه سكَرًا، أي: شيئًا مُسكِرًا[6].

تعلُّق ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ ودلالته:

السَّقي مِن ثمرات النّخيل والأعناب مَنٌّ مِن الله علينا

يتعلَّق شبه الجملة ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ بـ﴿نُسۡقِيكُم﴾، فيكون معطوفًا على ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾، أو بـ﴿نُسۡقِيكُم﴾ محذوفة دلَّت عليها ﴿نُسۡقِيكُم﴾ المُتقدِّمة، فيكون من عطف الجُمل[7]؛ أي: نسقيكم من عصير النَّخيل والأعناب[8]، وقيل: متعلِّقٌ بقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ﴾، وتكريرُ الظَّرف للتَّأكيد، وذلك كقولك: زيدٌ في الدّار فيها، أو خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ صفتُه ﴿تَتَّخِذُونَ﴾؛ أي: ومِن ثمرات النَّخيل والأعناب ثمرٌ تتَّخذون منه[9]، أو أنَّهما معطوفان على قوله: ﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾، هذا؛ وعلَّقهما أبو البقاء بفعلٍ محذوف، تقديره: وخَلَقَ لَكُم، أو وجعَل[10].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 202.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/ 616، والسمين الحلبي، الدر المصون: 7/ 258، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 417، والرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 235.

(3) الطيبي، فتوح الغيب: 9/ 150.

(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 235.

(5) الطيبي، فتوح الغيب: 9/ 150.

(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4212.

(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 557.

(8) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 235، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 125، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 417، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 330.

(9) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 125، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 417.

(10) الدرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 5/ 220.

بلاغة الإدماج في التّذكير بالنِّعم من خلال السَّقي:

نِعمُ اللهِ متتابعة، والعِبرُ فيها مترابطةٌ توثِّق الإيمان

أدمج العِبرة في المِنَن النّاشئة عن منافع خَلْقِ الأنعام والنَّخيل والأعناب؛ لدلالتها على بديع صُنْعِ الله وتذكيرًا بما فيها من إنعام على النّاس[1]، فقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ عطفٌ منَّةٍ على منَّة؛ لأنَّ ﴿نُّسْقِيكُم﴾ وقَعَ بيانًا لجملة: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ ومُفادُ فِعل ﴿نُّسْقِيكُم﴾ مُفادُ الامتنان؛ لأنَّ السَّقيَ مزيَّةٌ، وكلتا العِبرتَيْن في السَّقي[2].

غرضُ الترتيب ﴿ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾:

التَّمر عند العرَب غذاء، وفي شجَر العنب لذَّةٌ ودواء

إنَّما قدَّم النَّخل؛ لأنَّ التَّمر يجري مجرى الغذاء بالنِّسبة إلى العرَب؛ وأتبعه بالعنب لأنَّه أشرف أنواع الفواكه[3].

دلالة موقع ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ ودلالته:

بحسب استخدام النِّعمة يكون الحُكم

قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ في موضع الحال[4]، وهو استئنافٌ بيانيٌّ ناشئٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ وهو (أيُّ شيءٍ في النَّخيل والأعناب تسقون؟) فقيل: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ للبيان والكشف عن كُنْه الإسقاء وكيفيَّته[5]، فحسُنَ الفصل بين الجملتين لِما بينهما من شبه كمال الاتِّصال، ولكون الوصل يوهِم خلاف المعنى المُراد.

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿تَتَّخِذُونَ﴾:

النّاس يستمرّون في اتِّخاذ المنافع مِن ثمرات النَّخيل والأعناب

لمّا كان السُّكْرُ والرِّزق الحسَن يحتاج إلى معالجةٍ قال: تَتَّخِذونَ، فأخبر عنهم باتِّخاذهم منه السَّكَر والرِّزق[6] بالفعل المضارع الذي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 199.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 202.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/ 86.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 203.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/ 232، والرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 235، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 125، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 417، والسمين الحلبي، الدر المصون: 7/ 258.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 557.

يدلُّ على تجدُّد الحدَث واستمراره؛ فهم يكرِّرون اتِّخاذ المنافع من ثمرات النَّخيل والأعناب، مستمرّون في انتفاعهم بهذه الثَّمرات.

دلالة حرف الجر في ﴿مِنْهُ﴾:

في الموضعيْن (مِنْ) ابتدائية؛ فالأولى مُتعلِّقةٌ بفعل ﴿تُسْقِيكُم﴾ المقدَّر، والثّانية متعلِّقةٌ بفعل ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، وليست (مِنْ) الثّانية تبعيضيَّة؛ لأنَّ السَّكَر ليس بعض الثَّمرات، فمعنى الابتداء ينتظم كلا الحرفين[1]، وكرِّرت (مِنْ) في الآية الكريمة للتَّوكيد[2]، أو تكون (مِنْهُ) خبرًا لمحذوف صفته تتَّخذونَ، أي: ومِن ثمرات النَّخيل والأعناب ثمرٌ تتَّخذون منه[3].

ابتدأ الجاحظُ نعمةَ الله في الثمر بالسُّكر فألهته عن الشُّكر

غرض تقديم شبه الجملة ﴿مِنْهُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ قدِّم شبه الجملة ﴿مِنْهُ﴾ على المفعول به ﴿سَكَرًا﴾؛ للاهتمام بالمتقدِّم الذي يعود على ثمر النَّخيل والأعناب، فالسِّياق سياق تعديدٍ للنِّعم وتعريضٍ بالخمر، والمعنى: تتَّخذون منه سَكَرًا يُذهب العقول؛ فتذهل هذه العقول عن شكر نعمة الله في ثمرات النَّخيل والأعناب، وتكرار ﴿مِنْهُ﴾ احتراسٌ لئلّا يُتوهَّم أنَّ السَّكَرَ يُتَّخذ ممّا يخرج من بطون الأنعام أيضًا.

السَّكَر يُذهِبُ العقول، وبينها وبين شكر نِعمة الله يَحول

غرض تنكير ﴿سَكَرًا﴾ و﴿وَرِزْقًا﴾:

السَّكَر: الخمر، وقد جاء نكرةً للتَّكثير إشارةً إلى كثرة اتِّخاذ هذا الخليط في صناعة الخمور، أمّا الرِّزق الحسَن فهو ما يُؤكل مِن الأعناب والتُّمورِ[4]، وجاء نكرةً للتَّعظيم، أي: أنَّ هذه المنافع رِزقٌ عظيم أنعم الله به على عباده، ورشَّح جانب التَّعظيم فيه أنَّه وصِف

مَن اتَّخذ سكرًا فقد وضَّع، ومَن اتَّخذ رِزقًا حسَنًا فقد انتفَع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 203.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 557، درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 330.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/ 232.
(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 209.

بالحسَن، وفي وصف هذا الصِّنف دون الآخر بالحسَن تعريضٌ بالخمر، وإلماحٌ إلى أنَّها دون الصِّنف الآخر، وفي الكلام إدماجٌ؛ فهو مع ذِكر الإنعام بهذه المنافع أشار إلى وضاعة بعضها وحرمتها.

سرُّ تقييد ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ دون السَّكَر:

في ترك الوصف بالحسَن تَكريهٌ وتَقبيح

قوله سبحانه: ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ إن كان سابقَ النُّزول على تحريم الخمر؛ فإنَّه يدلُّ على كراهتها، وإلّا فإنَّه يجمع بين العتاب والمِنَّة[1]، ففي وصف الرِّزق بالحسَن دون السَّكر دلالةٌ على قبح تناول الخمر تعريضًا[2]، بل إنَّ الله ﷻ نبَّه على تحريمها[3]؛ لأنَّه ميَّز بينها وبين الرِّزق الحسَن في الذِّكر، فقد جاء السَّكَر في الآية مقابلًا بالرِّزق الحسَن، لذا وجب ألّا يكون السَّكَر رِزقًا حسَنًا[4]، والمعنى: السَّكَر رِزقٌ غير حسَن، والآية مِن الاحتباك؛ فذِكر السَّكَر أوَّلًا دالٌّ على الفتح ثانيًا، وذِكر الحسَن ثانيًا دالٌّ على القبيح أوَّلًا، فالآية أدلُّ ما في القرآن على المعتزلة في أنَّ الرِّزق يُطلق على الحرام[5].

غرضُ تقديم السَّكَر على الرِّزق:

السَّكَر أهمُّ عند مَـن ضـلَّ وأراد الوَهم

في قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قدِّم ﴿سَكَرًا﴾ على ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾؛ للاهتمام بالمتقدِّم الذي هو الخمر؛ لأنَّها أنفَس عندهم وأهمُّ لديهم من الرِّزق، وهذا يناسب سياق امتنان الله على عباده بما ينتفعون به.

دلالة موقع ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

العِبَـرُ في نِعم الله مترابطةٌ، وبعـضُـهـا من نوعٍ متقارب

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ جملةٌ مستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا لتنزيلها منزلة سؤالٍ مقدَّر، فكأنَّه قيل: هل فيما

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 125.
(2) الطيبي، فتح الغيب: 9/ 152.
(3) الخازن، لباب التأويل: 3/ 85.
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 383.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 196.

سبق ذِكرُه آية؟ أو: في ذلك آيةٌ لمَن؟! فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وهذا ممّا يحسِّن الإتيان بمؤكِّدات[1].

دلالة تتابع المؤكِّدات في فاصلة الآية:

تتابُع المؤكِّدات يضع الأيدي على حقيقةٍ دامغة

في هذه الجملة الكريمة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ مجموعةٌ مِن المؤكِّدات هي: الحرف النّاسخ ﴿إِنَّ﴾[2]، والجملة الاسميَّة، ولام الابتداء في قوله: ﴿لَآيَةً﴾[3].

وهذه المؤكِّدات تضع الأيدي على حقيقةٍ دامغةٍ وهي أنَّ في هذه الأمور المتقدِّم ذكرها آيةً دامغةً وبراهينَ ساطعةً، لمَن كانت لهم قلوبٌ يعقلون بها، وقد حسُنَ توالي هذه المؤكِّدات لمّا كان الكلام موجَّهًا إلى مُنكرين، لإقامة الحُجَّة عليهم، ولبيان أنَّ مَن لم يهتدِ بهذه العِبر إلى الوحدانيَّة؛ لا عَقل له ولا تدبُّر.

دلالة حرف الوعاء في قوله ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾:

الأنعام والثَّمرات ظرفٌ للآيات

كأنَّ منافع الأنعام والثَّمرات صارت ظرفًا للآيات؛ ففي كلِّ جزءٍ من أجزائها علامةٌ تدلُّ على وحدانيَّة الله ﷻ.

غرضُ تقديم شبه الجملة ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾:

في إنعام الله على عباده عِظةٌ للذين يُعملون عقولهم

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ قُدِّم المسند، وهو شبه الجملة، على المسند إليه، وهو قوله تعالى: ﴿لَآيَةً﴾ لغرض التَّنبيه على أنَّ المقدَّم هو مناط الاستعظام ولفت النَّظر إليه وفيها كذلك تخصيصٌ للمتقدِّم.

غرضُ التَّعبير باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

آيات الله وآلاؤه عظيمةٌ، ولا يُعرض عنها إلّا أصحاب النُّفوس الذَّميمة

أوثر التَّعبير باسم الإشارة دون الضَّمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ ليكون محلُّ الآية جميع المذكورات مِن منافع الأنعام،

(1) الصعيدي، بغية الإيضاح: 2/ 295.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 204.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 204.

وثمرات النَّخيل والأعناب، وفيه إشارةٌ إلى كون العبرتين - في الآيتين - من نوعٍ متقارب[1]، والتَّعبير باسم الإشارة في سياق المدح دليلٌ على التَّعظيم، وأمّا عن نكتة مجيئه للبعيد، فلتَعظيم المشار إليه، وأنَّه قد بلغ غايةً في العُلوِّ والتَّعظيم سامقة[2].

معنى اللّام في ﴿لَآيَةً﴾:

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَآيَةً﴾ هي اللّام المُزحلقَة[3] المفيدة للتَّوكيد[4]، وإنَّما حَسُن هذا التَّوكيد لكون الكلام موجَّهًا لمخاطَبين مُنكرين، فأُقيمت عليهم الحُجَّة به.

الغرضُ مِن تنكير ﴿لَآيَةً﴾:

في منافع الأنعام والثَّمرات والنخيل والأعناب آيةٌ عظيمة وجليلة

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ باهرةً[5]. مِن أغراض التَّنكير: التَّعظيم[6]، وهو المقصود في هذا السِّياق، فإنَّ في منافع الأنعام والثَّمرات والنَّخيل والأعناب آيةً عظيمةً وجليلةً، وبغرس الإيمان في القلوب كفيلةً، ودلالةً واضحةً تدلُّ على وحدانيَّة الله وقدرته وحكمته[7].

معنى اللّام في قوله ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

لا نفع لتعداد النِّعم على أُناسٍ لا عقول لديهم فتفهم، ولا قلوب لهم لتعقل

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ﴾ تفيد الاختصاص[8]، وقد وصفهم الله بأنَّ لهم عقلًا يفكِّرون به في دلائل القدرة وبراهين الوحدانيَّة؛ فلذلك خُصِّص في الآية دون غيره، وإنَّما خصَّ كونها آيةً لهم؛ لأنَّ غيرهم لا ينتفعون بها، فلا نفع لتعداد النِّعم على أناسٍ لا عقولَ لديهم فتفهم، ولا قلوب لهم لتعقل.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 203.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 413.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 331.
(4) محمود صافي، الجدول: 7/ 346.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 125، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 420.
(6) المراغي، علوم البلاغة، ص: 127.
(7) طنطاوي، الوسيط: 8/ 182.
(8) المرادي، الجنى الداني، ص: 96.

الغرض من تنكير ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

ذُكر لفظ ﴿لِّقَوْمٍ﴾ دون أن يُقال (للَّذين يعقلون) أو (للعاقلين) أو (المتدبِّرين)؛ لأنَّ إجراء الوصف على لفظ ﴿لِّقَوْمٍ﴾ يومئ إلى أنَّ ذلك الوصف سجيَّةٌ فيهم.

مَن كان له عقلٌ سليمٌ، وفكرٌ قويمٌ هُدِي إلى سواء السَّبيل

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿يَعْقِلُونَ﴾ من حيث مادَّتها وصيغتها:

الفعل ﴿يَعْقِلُونَ﴾ مُنزَّل مَنزلة اللّازم[1]، وقد عبِّر عنه بالمضارع ليناسب استمرار النِّعم وتجدُّدها.

مَـن عـقـل ذاق لـــذَّةَ الـتَّـدبُّـر المـوصـــل إلى الإيمان

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

السَّكَر والغول:

أصل السَّكْر يدلُّ على الحيرةِ ويدور معناه المحوريُّ حول السَّدِّ والحَبس[2]؛ فيقال: سكَرَت عينُه، أي: تحيَّرت، وسكنَت عن النَّظر[3]، والسَّكْر: حَبسُ الماء، والماءُ إذا سُكِر تَحيَّر، والسُّكْر من الشَّراب فيه معنى التَّحيُّر[4]، والسُّكْرُ: حالةٌ تعْرِض بين المرء وعقله، وأكثر ما يُستعمل ذلك في الشَّراب، وقد يعتري مِن الغضب والعِشق ونحوهما، والسَّكَر: اسمٌ لما يكون منه السُّكر[5].

السَّكَر فيه تحيُّرٌ وسدٌّ، والغول مِـــن الأخـــذ بإخفاء

أمّا الغَوْل فأصله: الأخذُ من حيث لا يُدرَى، ومنه أُخِذ معنى الإهلاك في خُفيةٍ؛ يُقال: غاله واغتاله: أهلكه وأخذه من حيث لم يدرِ، وقتله غِيلةً؛ أي: في اغتيالٍ وخفيةٍ[6]، وغالتِ الخمرُ فلانًا إذا شرِبها فذهبَت بعقله أو بصحَّة بدنه[7].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 204.

(2) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سكر).

(3) الأزهري، التهذيب: (سكر).

(4) ابن فارس، المقاييس: (سكر).

(5) الراغب، المفردات: (سكر).

(6) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (غول).

(7) ابن منظور، لسان العرب: (غول).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»